الجزء الثالث

من

كتاب الحكمة الشرقية

كتاب

او ناد ايجا كو

أو

التعليم الراقي للمرأة

في اليابان

نقله من اليابانية الى الانكليزية

العلامة شنجورو تاكايشي

ومن الانكليزية الى العربية

محمد لطفي جمعه

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الثورة اليابانية

كل مؤرخ يبحث في تاريخ اليابان الحديث ويدون أسباب نهضتها يذكر ان تاريخ تلك النهضة وحوادث ذلك العصر الذهبي تبتدىء منذ زار القومندور بيري الامريكي شواطىء اليابان على ظهر مدرعته الحربية التي كان اليابانيون يسمونها «المركب السوداء» لطول منظرها وعدم اعتيادهم اياه ويقول اليابانيون أنفسهم ان طلقة المدفع الاولى التي أطلقتها المدرعة في الفضاء كانت ايذانا بتغيير حياة اليابان ونهوضهم من سباتهم العميق وتنبههم بعد غفلتهم وصحوهم بعد سكرتهم بل رفعت تلك الطلقة الاولى غشاوة كانت تحجب نور المدنية الغربية عن اليابان فسعوا الى الاختلاط بأصحاب تلك المدنية بعد طول الوحدة ولحقوا بالامم الكبرى في سنين معدودة :

وكانت زيارة القومندور بيري التي زار فيها اليابان لتوطيد عرى المودة بينها وبين جمهورية الولايات المتحدة في سنة ١٨٥٣ وقد احتفل اليابانيون في طوكيو منذ سنين قلائل بمرور خمسين عاماً على تلك الزيارة احتفالا شائقاً اعترفت فيه الامة اليابانية باسرها بفضل القومندور بيري وفضل بلاده عليها

ويحسن بنا في هذا المقام ان نصف الحال التي كانت عليها اليابان في ذلك العهد فقد كانت الحكومة اسيرة مقتضى نظام معروف باسم « توكيجاوا

شيجون » وهو النظام الذى كانت تسير عليه أمم أوروبا فى القرون الوسطى وقد جاهد واضع هذا النظام وهو مؤسس أسرة توكوجاوا جهده في احكامه حتى بقيت أسرته متمتعة بالحكم قرنين ونصف قرن وهذا أطول أمد دام فيه الحكم لاسرة النزامية . وكان الشيجون فى مبدأ الامر وكيل الامبراطور (المعروف في أوروبا باسم الميكادو) ولكن العلاقة بين الميكادو ووكيله لم تكن مكتوبة فى شرائع البلاد وقوانينها انما كانت عرفية لان السلطة التى كان يتمتع بها الوكلاء انتزعت من الامبراطرة على ممر الزمان بطرق سلمية فأصبحت على كر القرون ومر السنين كأنها حقوق شرعية ثابتة لا نزاع فيها . ولم تكن سلطة الوكيل محدودة فكان يؤذن الناس بانه المفوض الوحيد الذى له حق المراقبة على كل شيء وان الامبراطور يرضى مايرضاه ويأبي مايأباه ولا يعترض على شيء قبله الوكيل . وبالجملة فقد تخلى الميكادو عن كل ماله من النفوذ والسلطة . وتنازل عن سائر حقوق الملك سوى الجلوس على العرش وهز الصولجان وكان من حقوق الوكيل الامبراطورى ان يعلن الحرب على أمة أجنبية وان يسالمها ويعقد معها اتفاقية الصلح بدون علم الامبراطور وبدون استشارته . وكان الوكيل يسكن يدو (طوكيو الآن) هو وسائر رجال حكومته كما ان الامبراطور كان يقطن كيوتو وغني عن البيان ان الشأن الاول كان لطوكيو التى أصبحت عاصمة البلاد لثروتها ووفرة سكانها واتساع تجارتها وما فيها من اسباب الرفاهية والترف . وكان تحت سلطة الشيجون او الملتزم الاعظم ثلاثمائة ملتزم يسمى الواحد منهم دايميو ولكل دايميو من هؤلاء الثلاثمائة أرض وجند ورعية خاصة به . وقد وضع مؤسس أسرة توكوجاوا قانوناً خاصاً ببلاد اليابان جعل شعاره عدم اختلاط أمته بامة

أمة من أمم الارض قاطبة

وكانت هذه الوسيلة أفضل الوسائل لحفظ الامن والنظام في البلاد واذعان الشعب الياباني للشيجون وطاعته طاعة عمياء في كل ما يأمر به وينهى عنه وقد بلغ جهل الامة بما وراء بلادها انها لم تكن تعرف غير بلاد الشمس المشرقة وبلاد الصين ولم يكن يعلم بوجود أمريكا وانكلترا سوى نفر قليل . فلا تستغرب والامر كما ذكرنا دهشة اليابانيين لما علموا بوجود اسطول أمريكي على مقربة من خليج يدو وقد جزعوا وهلعت قلوبهم وتولاهم الوجل والفرق لما علموا بوجود مركب أجنبية لانهم حسبوا انهم سيذهبون هباء اذا دخلوا مع الاجانب في حرب لانهم لم يعرفوا معنى العلاقات الودية بين الامم والشعوب انما كانوا يعرفون من سياسة الامم امراً واحداً هو انه لابد من هلاك الامة الضعيفة اذا احتكت بأمة قوية وان توثيق عرى الصداقة بين شعبين مختلفين يعد من المستحيل لان الضعيف مهما أخلص للقوى لابد من ان تدور عليه الدائرة . ولنعد الآن الى حديث المركب السوداء التي آثار مجيئها كامن الداء فتنبهت اليابان الى أمرها من فرط دهشها وعلمت ان وراء بلادها أمما كبرى ومتاجر واسعة ومصانع عظيمة ومن عجائب تلك الامم هذه السفائن المهولة المخيفة . وكذلك كان بلوغ مدرعة القومندور بيري نذيراً مبيناً بسقوط دولة توكوجاوا . وتفصيل الخبر ان حكومة يدو التي يرأسها وكيل الامبراطور استعظمت الخطب ورأت ان الفصل فيه أصعب من ان تستطيعه فاستدعت سائر الملتزمين

وعقدت موءتمراً للبحث فيما يجب القيام به نحو الاعداء المهاجمين ثم رفعت الى الحكومة الامبراطورية التي كان مقرها كيوتو على ما ذكرنا

تقريراً فيه تفصيل خبر بلوغ الاسطول الامريكي شواطيء اليابان وكانت هذه أول مرة استشارت فيه حكومة الوكيل سائر الملتزمين ورفعت تقريراً رسمياً الى الميكادو فكأنها في الواقع أقرت بعجزها واعترفت بضعفها وتنازلت تنازلا حقيقيا عن سائر حقوقها الاستبدادية التى تفردت بها في الحكم . هذا ما كان من أمر الحكومة أما ما كان من أمر الشعب فقد أبى اغلب اهل البلاد ان يفتحوا بلادهم للاجانب محتجين بان الوحدة أمر يقضي به الدين عليهم وانهم اذا كفروا نعمة العزلة التي نشأوا هم وآباؤهم عليها كان ذلك مجلبة الدمار على الديار ولكن البلاد كانت في الواقع منقسمة الى ثلاثة احزاب الحزب الاول حزب الاحرار وهو الذي أشار بفتح أبواب اليابان في وجه الاجانب ومعاملتهم والاختلاط بهم وكان انصار هذا الحزب يرون ما يراه انصار حزب التجارة الحرة في البلاد المتمدنة الآن ولكن قلة عدد هذا الحزب كانت سبباً في عدم العناية بآرائه أما الحزب الثاني فكان من المحافظين الذين يرون ضرورة العزلة في كل وقت ما عدا الوقت الحاضر وهؤلاء كانوا يلحون على الحكومة في التصريح للاجانب بالدخول ريثما تتخذ اليابان أهبتها وتعد عدتها لمكافحة الاعداء المهاجمين في مستقبل الايام. وكان هذا الرأي منتشراً بين فئة كبيرة جداً من المنورين والمهذبين وقد انتحلته حكومة يدو (حكومة وكيل الميكادو) نفسها وقد استغرقت هذه المسألة السياسية عاما بالبحث فيها وكان القومندور بيري لما طلب الدخول في ١٨٥٣ وعاقته الحكومة أمهلها بعدان وعدته بالفصل في المسأله عاما آخر ثم عاد اليها في ١٨٥٤ وطلب منها الوفاء بوعدها بان تجيبه جوابا صريحا وبعد التي واللتيا قر قرار حكومة يدو (طوكيو) على افتتاح أبعد المواني الصغيرة التي لا شأن لها منذ عام ١٨٥٨

للتجارة الاجنبية فأحفظ[1] هذا القرار سائر الطبقات العالية اليابانية وظنوا التصريح الوكيل للاجانب بدخول بلادهم انتهاكا لحرمتها واحتقاراً لشأنها ومعولا لهدم عزلتها وفي اثناء تلك الثورة الفكرية قام بعض العلماء والمفكرين ونشروا بين الشبيبة اليابانية مذهباً سياسياً جديداً وهو الالتفاف حول عرش الميكادو وتعزيز شأنه وكانت هذه الفكرة قد اذيعت منذ نصف قرن وكمنت ولم تظهر وتزهر وتثمر الا في تلك الظروف.

فنهضت الامة اليابانية عن بكرة ابيها والفت حزباواحدا لاغرض له الا مقاومة حكومة الملتزمين واتقاء مايصيب الوطن والامة على ايدي تلك الحكومة التي صرحت للاجانب بان يطأوا أرض الشمس المشرقة واتخذت الامة باسرها شعارا تنادي به على رؤوس الاشهاد وهو « سو-نو-بوي » ومعناه « اكرموا الامبراطور واطردوا الاجانب » وكان هذا النداء مبدأ الثورة اليابانية

والمشاهد في مثل هذه الاحوال ان المسائل الصغيرة تكون منشأ للمسائل الكبيرة فقد حدث ان اليابانيين حولوا انظارهم عن مسألة ادخال الاجانب وانتبهوا الى مسألة عظمي وهي انتخاب حكومة قوية الجانب تتناول أعمال الامة بحزم وهمة وتحفظ كرامة البلاد كما كان يحفظها الاباء والاجداد. ولا ريب في ان منشأ هذه الفكرة كان ضعف حكومة « التوكو جاواشيجون » الذي اظهرته باذعانها لوعيد قائد الاسطول الامريكي القومندور بيري وقد اسست في ذلك الحين جمعية سياسية سرية كانت غايتها انقاذ البلاد من انصار الاستبداد واسمها « ليتوكلان ساهوراي » وبدأت برئيس

(١) احفظ: اغضب

الوزارة في حكومة الوكيل الامبراطورى وهو تايرو لي، فقتلته ابشع قتلة لانه كان ينتقم من اعدائه في السياسة بالقتل والذبح والسجن الاليم . وقد خسرت حكومة الشيجون بموت هذا الوزير خسارة كبرى لان الوكيل أصبح عاجزا عن تدبير شؤون الشعب الياباني فسارت الفوضى في البلاد وضاعت حقوق العباد وانتهكت الحرمات وساد الفساد . وبعد قليل من الزمن اقترح بعض عقلاء الامة نظاما يوحد الحكومتين ويوفق بين الطرفين فيشترك الوكيل مع الامبراطور في الملك ويشترك الامبراطور مع الوكيل في الحكم وهذا مايسمى الآن بالسلطتين الاسمية والفعليه

ويظهر لنا أن أغلب الملتزمين عضدوا ذلك الاقتراح المعقول ووافقوا عليه لان حبهم للامبراطور كان يعادل طاعتهم لوكيله وهو رئيسهم الاكبر ومقسم أرزاقهم وواهبهم املاكهم . ولكن انصار هذا الاقتراح لم يخطر ببالهم انه سيؤدى الى زوال دولة الوكيل وسقوطها سقوطا لانهوض لها بعده

وكان في اليابان في ذلك العهد فئة من الاشراف تسمى فئة الكوج وهم اشراف البلاط الامبراطورى وكانت هذه الفئة بالطبع متفانية في حب الميكادو لانه لم يكن يحجب نفسه عن فرد من افرادها كما انها لم تكن متعصبة للشيوجون لاستغنائها عنه وعدم ارتباطها به . وكان هؤلاء الاشراف من سلالة النبلاء الذين كانوا يلتفون حول العرش الامبراطوري قبل ان يتغلب الوكيل على الميكادو ويسلبه سائر حقوقه الشرعية ويحرمه من التمتع بالعرش الذى ورثه عن آبائه واجداده فلما دالت دولة الميكادو واصبح الحل والعقد بيد الوكيل قل نفوذ هؤلاء النبلاء واصبحوا كزيد وعمرو لا نفع لهم ولا نفوذ واقتصروا على حضور بعض الاحتفالات الرسمية

في البلاط الامبراطوري بعد ان كان لهم في عهد السلطة الامبراطورية من القوة والشأن مالم يكن لغيرهم . فكأن العداوة بين الوكيل والاشراف كانت طبيعية لان في قوته ضعفهم وفي فوزه فشلهم وفي غناه فقرهم وفي مجده خزيهم وعارهم فلما سنحت لهم تلك الفرصة نهضوا نهضة كبرى وعضدوا الحزب الامبراطوري بكل مافي وسعهم وكان بينهم جماعة من كبار السياسيين فدبروا من المكائد مادبروا ولم يألوا جهداً في خذل حكومة طوكيو ولم يدخروا وسعاً في نصرة الميكادو وقام بعضهم يقول بان الحكومة المزدوجة لاتنفع ولاتفيد ولايمكن الامة اليابانية ان ترضى الا برد حقوق الامبراطور اليه والاعتماد في سائر شؤون الدولة عليه وكان حزب من الشبان المنورين الفقراء يسعون في التقرب من بلاط الامبراطور فلم تفر تلك الفرصة من أيدي الاشراف بل انتهزوها وانتفعوا بها بان عضدوا هؤلاء الشبان فاشار الشبان على رؤسائهم وأولياء نعمتهم من الملتزمين بتعضيد الامبراطور ثم طالبوا ذلك التعضيد منهم ما احبن ما احفين وبعد قليل انضمت عشيرة جديدة اسمها عشيرة شيوسكي الى العشيرة الاولى فقوى حزب الامبراطور في زمن قصير . فلما اشتد ساعد الاشراف اشتغلوا بالدسائس السياسية ودبروا دسيسة لخلع وكيل الامبراطور ونزع السلطة من حكومته مرة واحدة ولكن الوكيل اكتشف الدسيسة وسعى في الانتقام من المدبرين ولما علم الامبراطور كومي سلف الامبراطور الحالي متسوهيتو بافتضاح أمر الاشراف غضب عليهم وابعد من اشتغلوا بالدسائس وقال انه يقنع بالسلطة المزدوجة أي باشتراكه مع الوكيل في حكومة البلاد وكان هذا الرأي هو الغالب لدى ثلة من الاشراف المعتدلين ولكن القدر لا يعوقه شيء والدول اذا دالت

لا ينفعها الحذر والحين اذا حان لا يؤجله انسان وكذلك كانت الحال في بلاد اليابان فقد آن لها أن تخلص من ربق الشيجون مهما قنع الامبراطور بالقليل ومهما افتضح سر المتآمرين . فقد شعر الوكيل ان مركزه أصبح حرجا للغاية وان القوة التي كان أباؤه وأجداده متمتعين بها من قبله قد أصبحت قوة وهمية وقد استبان ان اسلافه هم الذين أخطأوا واوقعوا نسلهم في تلك البلية لانهم لم يحتفظوا بالشرائع الوطنية ولم يراعوا مصلحة الامة اليابانية بل عاثوا في الارض فسادا وحصروا في انفسهم السلطة الاستبدادية وتفردوا بالحكم فجنوا عليه تلك الجناية ومنذ ذلك اليوم بقيت حكومة طوكيو على ماهي عليه ولكنها صارت جسما بلا روح واصبحت هدفا اسخط العشائر والقبائل فقامت عشيرة نوسا وهي لا تقل في الاهمية والنفوذ عن العشائر التي عضدت الامبراطور وعرضت على حكومة الوكيل التسليم للقضاء والقدر والتنازل عن الحكم ورد حقوق الامبراطور الشرعية اليه

ولو لم يكن نفوذ الوكيل قد ولى وادبر لما أصغى لذلك الطلب ولكنه انتهز تلك الفرصة واظهر حبه وطاعته للامبراطور ورأى ان الحكمة تقضي عليه بالتنازل عن سلطته بمحض أرادته لئلا يرغم على ذلك قسرا وجبراً فيكون سبباً في محو اسم اسرته من تاريخ اليابان بعناده وفي هذا من العار مالا يمحوه كر الايام ومر الاعوام . وفي سنة ١٨٦٧ أى بعد زيارة الاسطول الامريكي لمياه اليابان باربع عشرة سنه تقدم الشيجون توكو جاوا واسمه كيكي الى الامبراطور الحالي تستوهيتو والتمس من جلالته ان يقبل منه تنازله عن سلطته الادارية ليتفرد بها الامبراطور .

وقد استدعي عمل الوكيل اعجاب أهل وطنه بشممه وشجاعته وصبره وقناعته كما امتدحوه لبعد نظره وحكمته فقد استغنى مع تنازله عن السلطة الفعلية عن بلاطه في طوكيو وكان شاملا لسائر الملاذ التى يتمتع بها الملوك والسلاطين وعاش عيشة الملاك والمتزمين ولكن الاشراف وحزب الاحرار المتطرفين ابوا عليه ان يبقى له شيء من هذا وطلبوا ان يتنازل عما يملك من الاراضي ويتخلي عن اتباعه وعشيرته .

ويظهر ان التوفيق بين حزب الاشراف وبين حزب الوكيل كان أصعب من التوفيق بين النار والماء لان جماعة النبلاء كانوا يريدون تأسيس حكومة قوية تكون سلطتها محصورة في يد الامبراطور مباشرة وان لا يكون للوكيل ادنى علاقة بها فهاج هذا التطرف والتشدد غضب انصار الوكيل فاشاروا عليه باعلان الحرب الوطني على الحزب الامبراطوري ولكن جيشه لم يوشك ان يحشد حتي هزمته احدي القبائل المحازبة للامبراطور على مقربة من ييدو (طوكيو) فلجأ اليها . فقرر الحزب الامبراطوري على تجريد جيش عرمرم لاخذ طوكيو ولما علم الوكيل ككي بذلك تنازل مرة ثانية عن سلطته بمحض ارادته

هذا مع العلم بان أغلب المتزمين برجالهم كانوا طوع أمره لوانه أراد الحرب لجرد جيشا أعظم وأقوى عددا وعدداً من جيش الامبراطور وقد حدث ان العشائر المحازبة للوكيل حشدت جيشا لمحاربة الامبراطور دفاعا عن حقوقها ومنافعها التى أصبحت مهددة بعد تنازل الشيجون كيكي وقد أظهروا فى الحرب من الشجاعه والشهامه والاخلاص ماعدحون عليه ولما ان هزموا في جنوب اليابان ساروا الى شمالها واسسوا فى هوكايدو جمهورية

يابانية . ولكنهم هزموا مرة ثانية وردوا الى حظيرة الطاعة بعد العصيان ومن بين الذين قادوا جيوش ذلك الحزب الجمهوري الفيكونت هيباشي سفير اليابان فى بلاط سان جيمس بانكلترا وكان من زعماء حزب الشيجون وقد حارب الى ان لم يبق فى القوس منزع فسلم بعد حصار طويل الى جنود الامبراطور وبعد ذلك سادت السكينة على البلاد وحقن البعض دماء البعض بعد طول عهد العداوة والشحناء .

هذا هو ملخص الثورة اليابانية ولا بد من ختام ذلك الملخص بوصف تأثير تلك الثورة على سياسة البلاد فالقاريء يذكر ان منشأ تلك الحركة الفكرية كان بغض الاجانب والسعي في وقاية البلاد من شرهم فكان الحكومة اليابانية الجديدة قائمة على كراهية الاجنبي والتفاني فى حماية البلاد مما يصيبها منه . ومع ذلك فان الاحوال تغيرت فى الحال وانقلب بغض الاجانب حياد عداوتهم صداقة واسرعت الحكومة الجديدة في ادخال المدنية الغربية الى بلاد الشمس المشرقة باسرع ما يمكنها فاطمأن الشعب اليابانى كله الى تلك السياسة وعضدوا الحكومة في سائر أعمالها واستبدلوا حب الجديد بحب القديم واقبلوا اليوم على ما كانوا منه بالامس نافرين ولذلك التغيير سببان الاول ان الامة لم تثر ضد الاجانب انما ثارت ضد حكومة الشيجون التى اتخذت التعصب ضد الغرباء آلة لمحاربة الوكلاء ليكون ذلك لاعمالها مبرراً ولسياستها مزكيا . والثانى ان اليابانيين استبانوا عظمة المدنية الغربية ووقفوا على اخلاق اهل أوربا وأمريكا وفطنوا الى ان الوكلاء لم يمنعوهم عن الاختلاط الا رغبة في تأبيد سلطتهم والاستبداد بالامر في بلاد اليابان ومازال التقدم سائراً على قدم وساق حتى كانت سنة

٢٣ بالتاريخ الميجي الياباني فتنازل الامبراطور منسوهيتو عن السلطة المطلقة ومنح أمته دستورا يشبه الدستور الانكليزي ووضع في رأس الوزارة المركيز ايتو الذى كان من عشيرة شيوسكي وهي من انصار ابيه .

وقد شهد العالم منذ سنتين ماأظهرته اليابان من الشجاعة والثبات في ميادين الحرب والطعان فهزمت دولة ضخمة لم يسمع بمثل ضخامتهافى تاريخ بني الانسان وبعد ان عقد الصلح بين الدولتين واستتب الامر في الشرق الاقصى لامة الشمس المشرقة خطبت انكلترا سلطانة البحار ودها وعقدت معها معاهدتها المشهورة ثم تنازل الامبراطور منسوهيتو فى هذا العام لنجله الاكبر فقد قام هذا الميكادو الجليل بعملين عظيمين الاول انه تنازل عن سلطته الاستبدادية وهذا عمل كان يجدر بقيصر الامبراطورية الروسية والثاني انه تنازل عن الملك لابنه مع انه لايزال قادراً على التمتع به

مقدمة ثانية

ان رأس الآداب النفسية لدى اليابانيين فضيلة الايثار وهي ان يقدم الانسان نفع غيره على نفسه فلا يستطيع أحدهم ان يدعي لنفسه الاخلاق الفاضلة والخلال السامية الا اذا كان منكرا لذاته لان الأثرة مجلبة الرذائل ومزرعة النقائص كما ان الايثار هو تاج الفضائل ومنبت الكمالات لانه يستلزم التواضع وبغض الشهرة لذاتها ويستدعي الخضوع للشرائع والقوانين الوضعية وهذا لايكون الا لمن كانت العفة والقناعة من صفاته . والناظر فى اخلاق أهل الشرق باسرهم يوشك أن يستقصي تلك الحسنات فيها انما

طمستها أحوال عرضت على الشعوب الشرقية فاصابتها بجمود عرضى لو دام طويلا ولم يجد من يقتلع جذوره بالحكمة والتعقل يصير جوهريا وحينئذ يصعب تحويل هاتيك الامم عما يكون قد لصق بها من المعايب المذمومة

وبين يدي القارئ كتاب نقلناه من اليابانية اسمه بلغته «أونادايجاكو» أو «التعليم الراقي للاناث» الفه منذ قرنين الاخلاقي الياباني «كايبرا ايكن» وقصد به أن يكون ما تضمنه من الحكم والآداب والارشاد خاصا بالنسوة وقد كان المؤلف أونادايجاكو متمكنا من أداب اللغة الصينية تمكنه من لغته الاصلية وهذا الذي دعاه ودعا غيره الى النسج على منوال كتاب الصين والسير على دربهم وهذه كانت عادة اليابانيين في عهد أوناذايجاكو أي منذ مائتي سنة ولكن هذا المؤلف الاديب برز في أقرانه . وتفوق عليهم بسهولة اسلوبه ورقته وقد بلغ من امتلاك ناصية الحكمة والادب بفضل الحكومة الالتزامية التي استتب لها الامر في اليابان فنشرت اعلام السلام وعضدت الفنون والصنائع وبينها صنعة القلم فاينعت دولة الادب وازهرت واثمرت وقد انقطع في عهد تلك الدولة كبار العلماء والادباء للتبحر في العلوم وفنون الادب والحكمة اليابانية والصينية وعنوا بوضع مؤلفاتهم باللغة الصينية أو بارقى أساليب اللغة اليابانية صونا لها واحتفاظا بها من الضياع على كر الدهور ومر الاعوام اذا هم أودعوها لغتهم المحكية أما «كايبارا ايكن» واضع هذا الكتاب فقد انقطع لوضع كتب الحكمة والفلسفة وافراغها في قالب سهل ممتنع يقرب من فهم السوقة ولا ينكره الخاصة والمتأدبون فلم يذهب عمل كابارا هباء انما أقبل القراء عليه اقبالا عظيما وتناولوا مؤلفاته بشغف شديد فكان التاجر يقرؤها في حانوته والطالب

في مكتبه والفتاة في خدرها وقد نال « كتابه التعليم الراقي للاناث » أعظم اقبال وورثه الابناء عن الاباء والبنات عن الامهات حتى اعتادت الامة عليه وحتى أصبح من لا يراه في خزانة كتب صديقه ينكر عليه ذلك وهو اليوم أي بعد مرور مائتي عام لا يزال واسطة عقد المؤلفات اليابانية ودرة تاجها .

ولا يمتاز كتاب كايبارا بمذهب جديد او سنة حديثة فقد سبقه الي بعض ماجاء به فيه غيره من كتاب الرسائل والمصنفين ولكن الذي فرق بين التعليم الراقي للاناث وبين غيره كون صاحبه وصف فيه ما كان يطلب من المرأة ان تكون عليه في عهده وكونه جمع في صفحاته ماقاله الاقدمون ووفق بين التعاليم الدينية والاداب الدنيوية فتمكن بذلك من ارشاد العامة الذين لامقدرة لهم على فهم روح الفضيلة الى طريق قويمة اذا سار عليها فتيانهم ونساءهم قربن من الغاية المقصودة واستطاع بحذقه وبراعته ان يقنع القراء بصحة مبدئه واستقامة رأيه وقد ساعده على ذلك حاجة عامة القراء في عهده لا سيما الاناث منهم الى كتب ذات قيمة نافعة وقد يصعب على الغربيين ان يعرفوا مقدار تأثير هذا الكتاب في الرأي العام الياباني لانهم لم يعتادوا من اغلب الكتب الاخلاقية نفعا كبيرا في بلادهم اما في بلاد اليابان فقد كان تأثير « التعليم الراقي للاناث » كتأثير الكتب المنزلة لانه احدث ثورة فكرية وصار بعد قليل من الزمان كعبة آمال المهذبين والمهذبات ومرجع الاباء والابناء والامهات .

ان الناظر في عادات الشعوب الشرقية والغربية يدهش لما بين الشرق والغرب من التباين في معاملة المرأة فالمرأة الغربية قوة مهولة ونفوذ سائد على الرجل الغربي فهي سيدة وهو عبدها وهي معلمة وهو تلميذها وهي

آمرة وهو منفذ رغائبها اما في الشرق فالرجل على المرأة ما للمرأة على الرجل في الغرب فهو القوى القادر وهي الضعيفة العاجزة وهو الاستاذ المرشد وهى الطفلة المسترشدة : ويغلب على الظن ان منشاء ذلك الخلاف فى العادات تنبه حكماء الشرق الاقدمين الى خطورة شأن المرأة وقوتها وخوفهم من عاقبة تحريرها واعطائها سائر مألوف من الحقوق فاذاعوا اما اذاعوا من التعاليم التي تقضي بخنوع الانثى للذكر وخضوعها لاوامره واستسلامها له . ومنشأ هذا الرأي عريق فى القدم فقد وضع الحكيم كونفوشيوس قاعدة الحجاب منذ أربعة وعشرين قرنا اذقال « لا ينبغي للمرأة ان تجالس الرجل بعد دخولها سن السابعة » وكانت هذه السنة جرثومة مانراه الآن فى الشرق من ترك المرأة مهملة بلا تعليم ولا ترقية لان الشرقيين يعتقدون انها كلما ارتقت وتقدمت زاد شرها وضعف الرجل حيالها . وقد جاء في الديانة البوذية ان المرأة تظهر جمال الملائك وتبطن خبث الشياطين وانها مملوءة شراً وليس في المخلوقات مايخشي ضره ولا يرجى خيره مثلها ولم يكن الشرقيون وحدهم المتشبعين بتلك الاراء بل كان فلاسفة الغرب انفسهم لايقلون عنهم فى سوء الظن ببنات حواء فقد قال سقراط في تعاليمه ان المرأة منبع الشر وان عداوة الرجال وبغضهم آمن عاقبة من صداقتها وحبها وان مثل الشاب يطلب زوجة كمثل باحث عن حتفه بظلفه أو كمثل من يلقى بنفسه فى حبائل الصياد فكان الشرق والغرب اتحدا في زمن واحد ضد المرأة فرماها الواحد بالخبث والشر ونفر الآخر منها الرجل وامره بان لايجالسها ولا يخالطها لما في ذلك من عقوق الشرائع الدينية . فسرت تلك الاحكام الى اليابان سريان الكهرباء في الاجسام فاهمل تهذيب

المرأة فضاق نطاق عقلها وأصبحت محكومة تعيش عيشة الانعام وبقيت معارفها مقصورة على ما حولها من لوازم تدبير المنزل وطهي الطعام حتى اصبحت صغيرة الشأن صغيرة القدر في عين الرجل مع ان هذه كانت جناية عليها في بداية الامر وقد جرت الاساءة وراءها الف أساءة

وقد انحط مركز المرأة في الهيأة الاجتماعية اليابانية انحطاطا فظيعا لا سيما في العهد الذي كانت فيه البلاد كلها ميدانا للحرب التي اشتعلت نيرانها بين انصار الالتزام وبين اتباع المذهب الجديد مذهب الحرية الفكرية والسياسية . وكانت نار تلك الحروب تزداد كلما كرت السنون ومرت الاعوام وكأن أهل اليابان راق في اعينهم منظر الدماء المسفوكة والاعراض المهتوكة فابوا ان يختنوا هذه أو يصونوا تلك واستمرت الحال على ذلك المنوال بضع مئات من السنين . هذا ماأصاب اليابان مع انها تلك الامة التي كانت منذ سبعة عشر قرنا تفاخر بكرماتها وشواعرها وفاخرتها بابطالها وعساكرها. وكان ذلك في ابان حكم الملوك الاول فلما تحولت السلطة من أيدي الملوك وظفر بها الشوجون (وهم جماعة الوزراء والوكلاء الذين استولوا على النفوذ الفعلي في بلاد اليابان منذ قرون طويلة ومازالوا كذلك حتى عزلتهم الامة وردت الملك لصاحبه) انحطت المرأة لانها لم تلق من يناصرها ولم تجد مجالا لاظهار قواها الادبية وفضائلها النفسية . في العهد الذي ساد فيه الظلم والفساد وقد أهمل اليابان في ذلك العهد كل شيء واكتفوا باعداد الآت الحرب فاقتنوا الدروع والزرد والسيوف والاقواس والسهام وأعرضوا عن الكتب والاوراق والحبر والاقلام وكان الياباني اذا ولدت له زوجته بنتا ضيق عليها وعاد باللائمة على سواد حظها لانه كان يرجو في الالهة ان ترزقه

غلاما زكيا يكون في مستقبل الايام بطلا منازلا وشهما مناجزا . وما زالت هذه الافكار تنشر حتى أهملت المرأة تمام الاهمال وامست مخلوقا لا قيمة له ولا قدر يعيش كسائر الحيوانات بلا عقل ولا أرادة ولا فكر . ولم تكن للمرأة في ذلك الحين وظيفة سوي تدبير المنزل وحمل الجنين وكان من نكد الدنيا على الياباني ان يعلم عنه انه استشار زوجته أو سألها رأيها في أمر من الامور . وكان من يعشق زوجته أو يحب ابنته يرمى بالجبن والضعف وحجة اللائمين في ذلك ان من كان يخدم الامبراطور فلا حاجة له بحب النساء أو الاهتمام لشأن أسرته فكان حب النساء في ذلك العهد رأس كل خطيئه ومصدر كل سيئة .

وكان أحدهم اذا رأى أمرأة ضعيفة واوعزت له نفسه ان يعضدها أو يفرج كربها راعى في ذلك الشدة والقسوة لئلا يرمى بلين العريكة وسهولة القياد . ولا ريب في ان حب المرأة اذا ذهب من قلب الرجل أصبحت تلك المخلوقة ضعيفة الحول والطول لا تملك انفسها خيراً ولا شراً

قال الكاتب فلما أشرق علينا نور العلم والمدنية وعادت المياه الى مجاريها وأصلحنا ما فسد من شؤوننا وسرنا في طريق التقدم لحظنا اننا نسير سيراً حثيثاً فبحثنا عن سبب ذلك فلم نجده لاننا كنا حاصلين على سائر الصفات الطيبة التي امتازت بها أوروبا عن غيرها وقد أوشك ان يتسرب الشك الى قلوبنا فرمينا أمتنا كلها بالخمول والقصور عن الوصول الى ما وصلت اليه أوروبا في عدة قرون وقام بيننا من كانوا يريدون تثبيط هممنا وادعوا اننا أمة شرقية وهيهات ان يصل الشرق الى ماوصل اليه الغرب .

وكدنا نصدق هذه الادعاآت الباطلة ونؤمن بتلك الاقاويل الضئيلة

واذا بالاستاذ شمبرلين نبهنا الى علة العلل ومسألة المسائل . قام الاستاذ شمبرلين وبين لنا بكل جلاء ووضوح ان سبب سيرنا الهوينا ليس راجعا الى ضعف في اخلاقنا أو تقصير في عملنا أو نقص في شمائلنا انما هذا التأخر راجع في الحقيقة الى جهل المرأة اليابانية فادهشنا ذلك الراي ونهضنا في الحال للعمل بما أشار به علينا ذلك الحكيم العظيم . ان تاريخ نهضتنا لتعليم نشأتنا يحتاج الي مجلد ضخم . ولكن علي ان أوجز في القول على قدر الاستطاعة .

أول ماهممنا به اننا اكتتبنا بمبالغ طائلة ولا أبالغ اذا قلت انها زادت في ظرف سنتين عن ثلاثة ملايين من الجنيهات وبهذه المبالغ الطائلة انشأنا في وقت واحد في سائر جهات اليابان مدارس الاناث واستجلبنا لها معلمات اخصائيات لتهذيب الاناث من أوروبا وامريكا

وكان التعليم في تلك المدارس في أول الامر مجانيا ثم جعلنا أجوره بالتدريج ملائمة لحال الاهالي ولم يكن اهتمامنا متصورا على انشاء المدارس في المدن الكبرى بل أنشأناها في اصغر القرى فكنا نؤسس المدرسة بجانب المعبد ليدرب العقل في المكان الذي تهذب فيه النفس وقد اضطررنا في العهد الاخير الى جعل تعليم الاناث كتعليم الذكور اجباريا فلا تبلغ الطفلة السادسة من عمرها حتى يرغم أهلها على ارسالها الى المدرسة حيث تبقى أربع سنين في اثنائها تتعلم القراءة والكتابة والحساب وآداب النفس والشعر وبعض الاعمال اليدوية وكان عدد البنات باريس اللواتي تعلمن في المدارس في سنة ١٨٩٨ نحو ٩٠٧ ر ٨٦٠ ر ٣٠ مع ان عدد أطفال اليابان كلهم في تلك السنة كان ٧١٢٥٩٢٦ أي بمعدل ٣٠ر٣ في المائة وبعد ازدادت

الرغبة في التعليم منذ ١٨٩٨ الى الآن أي منذ تسع سنين فاصبح معدل الذكور الملتحقين بالمدارس ٨٢و٩٤٢ ومعدل البنات الملتحقات بها ٧٣و٥٣ قال الكاتب وليس هذا كل ماقمنا به نحو نسائنا فانا فوق ذلك جعلنا للفائزات منهن في كل عام جوائز سنية وتحفاً ثمينة فلا يأتي آخر السنة الدراسية حتي تكتتب جلالة الامبراطورة وصواحبها وسائر الاسر الشريفة بالمال والهدايا لتقدم للفتيات المجدات المجتهدات وقد ارسلن كثيراً من نسائنا منذ عشر سنين لتلقي فنون التعليم والتهذيب في مدارس انكلترا وامريكا والمانيا حضرن الينا وقمن بتهذيب بناتنا خير قيام.

ثم ان الامة نفسها تناصر الحكومة على هذا العمل فان الياباني المتعلم وعدد المتعلمين عندنا كما رأيت لايقل عن ٨٠ في المائة يأنف ان يتزوج فتاة غير متعلمة وانتشار هذا الرأي وحده حمل البنات يقبلن على التعليم اكثر من اقبال الصبيان لرغبة كل منهن في الزواج » اه كلام العلامة شنجورو تاكايشي الياباني

أقول ولا ريب في ان المنازل اليابانية أصبحت تفوق في تربيتها ونظافتها أغلب المنازل الاوربية بعد ان عرف قدر المرأة وعني بتربيتها.

وهي ولا شك تقدر هذا العمل النافع قدره وتهتم بشأن اولادها فتربيهم ابناء حسنا وتنتج وطنها رجالا اشداء أقوياء يفاخرون بأمهاتهم كما يفاخرون بآبائهم.

وكم من حادثة في الحرب الاخيرة دلت على سمو آداب المرأة اليابانية وعلو نفسها وتفانيها في خدمة وطنها وقد نقلت لنا صحف الاخبار في اثناء تلك الحرب عن المرأة اليابانية قصصا وحوادث لاتقل عما يتناقله مؤرخو العرب عن نسائهم في ايام الوقائع الشهيرة او نساء اسبرطة لدى هجوم الفرس

واذا بالاستاذ شمبرلين نبهنا الى علة العلل ومسألة المسائل . قام الاستاذ شمبرلين وبين لنا بكل جلاء ووضوح ان سبب سيرنا الهوينا ليس راجعا الى ضعف في اخلاقنا أو تقصير في عملنا أو نقص فى شمائلنا انما هذا التأخر راجع في الحقيقة الى جهل المرأة اليابانية فادهشنا ذلك الراي ونهضنا فى الحال للعمل بما أشار به علينا ذلك الحكيم العظيم . ان تاريخ نهضتنا لتعليم نشأتنا يحتاج الي مجلد ضخم . ولكن علي ان أوجز في القول على قدر الاستطاعة .

أول ماهممنا به اننا اكتتبنا بمالغ طائلة ولا أبالغ اذا قلت انها زادت فى ظرف سنتين عن ثلاثة ملايين من الجنيهات وبهذه المبالغ الطائلة انشأنا في وقت واحد في سائر جهات اليابان مدارس الاناث واستجلبنا لها معلمات اخصائيات لتهذيب الاناث من أوروبا وامريكا

وكان التعليم في تلك المدارس في أول الامر مجانيا ثم جعلنا أجوره بالتدريج ملائمة لحال الاهالي ولم يكن اهتمامنا متصورا على انشاء المدارس في المدن الكبرى بل أنشأناها فى اصغر القرى فكنا نؤسس المدرسة بجانب المعبد ليدرب العقل في المكان الذي يهذب فيه النفس وقد اضطررنا فى العهد الاخير الى جعل تعليم الاناث كتعليم الذكور اجباريا فلا تبلغ الطفلة السادسة من عمرها حتى يرغم أهلها على ارسالها الى المدرسة حيث تبقى أربع سنين فى اثنائها تتعلم القراءة والكتابة والحساب وآداب النفس والشعر وبعض الاعمال اليدوية وكان عدد البنات بمدارس اللواتى تعلمن فى المدارس في سنة ١٨٨٥ نحو [illegible] مع ان عدد أطفال اليابان كان في تلك السنة كان [illegible] أي بمعدل [illegible] [illegible]

الرغبة في التعلم منذ ١٨٩٨ الى الآن أي منذ تسع سنين فاصبح معدل الذكور المتحققين بالمدارس ٩٢.٤٢ و٨٢ ومعدل البنات اللاحقات بها ٧٣ و٥٣ قال الكاتب وليس هذا كل ماقمنا به نحو نسائنا فاننا فوق ذلك جعلنا للفائزات منهن في كل عام جوائز سنية وتحفاً ثمينة فلا يأتي آخر السنة الدراسية حتى تكتتب جلالة الامبراطورة وصواحبها وسائر الاسر الشريفة بالمال والهدايا لتقدم للفتيات المجدات المجتهدات وقد ارسلن كثيراً من نسائنا منذ عشر سنين لتلقي فنون التعليم والتهذيب في مدارس انكلترا وامريكا والمانيا حضرن الينا وقمن بتهذيب بناتنا خير قيام .

ثم ان الامة نفسها تناصر الحكومة على هذا العمل فان الياباني المتعلم وعدد المتعلمين عندنا كما رأيت لايقل عن ٨٠ في المائة يأنف ان يتزوج فتاة غير متعلمة وانتشار هذا الرأي وحده جعل البنات يقبلن على التعلم اكثر من اقبال الصبيان لرغبة كل منهن في الزواج » اه كلام العلامة شنجورو تاكايشي الياباني

أقول ولا ريب في ان المنازل اليابانية أصبحت تفوق في تربيتها ونظافتها أغلب المنازل الاوربية بعد ان عرف قدر المرأة وعني بتربيتها .

وهي ولاشك تقدر هذا العمل النافع قدره وتهتم بشأن اولادها فتنبتهم نباتاً حسناً وتنمي وطنها رجالاً اشداء أقوياء يفاخرون بأمهاتهم كما يفاخرون بآبائهم .

وكم من حادثة في الحرب الاخيرة دلت على سمو آداب المرأة اليابانية وسمو نفسها وتفانيها في خدمة وطنها وقد نقلت لنا صحف الاخبار في اثناء تلك الحرب عن المرأة اليابانية قصصاً وحوادث لاتقل عما يتناقله مؤرخو العرب عن نسائهم في ايام الوقائع الشهيرة او نساء اسبرطة التي دوخ بهم التاريخ

على مضائقهم .

فقد خرج العذارى والمخدرات الى ميدان الوغى لتطبيب المرضى وتضميد جراح الجرحى وتعزية القتلى قبل موتهم بابتسامة تشبه ابتسامات الملائكة أو كلمة حلوة تخفف الام الموت وقد حق للغادة اليابانية ان توصف بقول حافظ الشاعر المصري : —

انا يابانية لا انثني عن مرادي او اذوق العطبا
انا ان لم أحسن الرمي ولم تستطع كفاي تقليب الظبا
اخدم الجرحى وأقضي حقهم واواسي في الوغى من نكبا

كتاب التعليم الراقي للمرأة

لما كان حظ الفتاة يقضي عليها عند بلوغ طور المرأة ان تدخل داراً جديدة وتعيش مع أسرة جديدة تكون فيها مرغمة على طاعة حميها فالواجب عليها ان تقدر نصائح والديها حق قدرها وتعمل بما يأمرانها به من الطاعة والاخلاق الفاضلة لانها في الواقع أحوج الى تعليم الوالدين والانتفاع بحكمتهما أكثر من الفتى . ولو ان والديها أهلا تربيتها لوقتها وغضاضتها وصرفاهمها الى ارضائها نشأت الفتاة أسيرة هواها لا تخشى في نيل مآربها وتقلبها لومة لائم فان كان حموها رجلا قويم الاخلاق شديد المراس عجزت عن ان تطيق حكمه فتبغضه لما تراه فيه من الاستقامة التي تحسبها شدة وقسوة ولا تزال معه ومع افراد أسرته في شقاق وينتهي الامر بخروجها من دار زوجها ملومة

محسورة عدا مايصيبها من العار والفضيحة فيكون والداها قد نسيا أنهما اساءا تربيتها فيعودان باللائمة على حميها وينسبون اليه كل نقيصة ولكنهما لاريب مخطئان لان اللوم في الواقع واقع عليهما وعلى التربية الناقصة التي انشآ عليها ابنتهما ومن شب على عيب شاب عليه .

ان القلب الطاهر في النساء أفضل من الوجوه السمحاء لان ذات القلب الشرير تلقى على الدوام ثائرة فهي تحملق بعينيها في وجوه الناس وتصب عليهم صاب غضبها واذا نطقت نطقت بفحش القول واذا حادثت أحداً ذمته في وجهه وعنفته لغير سبب ظاهر سوى قلة حيائها أما اذا تكلمت عن نفسها فلا تقول الا المدح والثناء فتضع نفسها فوق سائر الناس ومن عاداتها الذميمة انتفاخ اوداجها عجباً بنفسها وسخريتها من غيرها وبالجملة فهي تعمل كل ما ينبغي للمرأة الفاضلة ان تتخلى عنه لان صفات المرأة هي الطاعة والعفة والشفقة وغير ذلك مما يدل على أدب النفس .

٢ — الحجاب

ينبغي للفتاة ان تعتاد منذ نعومة اظفارها التمييز بين أخلاق المرأة وأخلاق الرجل لئلا تتصف بما لا يليق بها فلا يسمح لها بقول أو فعل مخالف لاخلاق المرأة كذلك يجب على الحر الدين ان يبعدها عن مواطن الفساد حتى لاترى بعينها شيئاً يؤثر على طباعها وقد كانت العادات القديمة تقضي على الرجل والمرأة بان لايجتمعا في غرفة واحدة وان لا يتركا ثيابهما في مكان واحد وان لا يغتسلا في مكان واحد وان لاتتناول المرأة شيئاً من الرجل يداً بيد وان المرأة اذا خرجت من دارها ليلا تحمل مصباحا تستضيء به وان تراعي حدوداً خاصة في معاملة زوجها وأقاربها واخوتها دع عنك ما كان يقضي

عليها به في معاملة الاجانب . أما في وقتنا هـذا فقد اعرض نساء الطبقات النازلة عن تلك الاداب وسلكن مسلكا سيئاً فاتلفن صيتهن وجلبن اللوم على آبائهن وأمهاتهن واخوتهن وعلى وطنهن وتعودن صرف الزمان فيما يضر ولا ينفع : ان ديننا وآدابنا القومية تقضي على المرأة بان لاتصاحب رجلا الا اذا أمرها بذلك أحد والديها او وسيط يريد تزويجها وان تكون ثابتة القلب وان تضحي كل شيء في سبيل حفظ كرامتها وصيانة شرفها وعرضها من الاذى ولو كان ذلك يؤدي الى هلاكها .

٣ — سبعة أسباب الطلاق

أهل الصين يسمون الزواج « العود » لأنه يجب على المرأة ان تعد بيت زوجها بيتها وانها التي الزواج تعود اليه أما بيت أبيها فلم يكن الا مقراً عرضياً تقيم فيها ريثما تلتقي بعلها . فاذا وفقت وصارت أهلا لبعل ما فلا يليق بها ان تعيبه مهما كان فقيراً او وضيعا لانها أصبحت شريكته في الغرام والشراكة وعلى الشريك العادل ان يستر عيوب شريكه وان يحتمل الضيم الذي يحتمله صاحبه فاذا كان الدهر قاسيا عليهما استعانا عليه بالاتحاد لان الضعيفين يغلبان قوياً . وكان الحكماء الاقدمون يوصون المرأة بان لاتتأثر منذ اول عهد الزواج . فلو انها سلكت طريقا غير قويمة وأعرضت عن الاخلاق المستقيمة حتى استدعى سلوكها طلاقها فقد عرضت نفسها للعار الابدي لايزول عنها مادامت في قيد الحياة وقد ذكروا في تلك المسألة سبعة دواع سموها أسباب الطلاق السبعة [١] وهي (اولا) تطلق المرأة اذا خالفت حماها أو حماتها

---

(١) ذكر هنا أسباب الطلاق في الشرائع الثلاث وفي القانون الفرنسوي الذي يعتبر الزواج عقداً مدنيا محضا

(ثانياً) اذا كانت المرأة لاتحمل وسبب سن تلك القاعدة ان أهم اسباب الزواج حفظ نسل الرجل واستبقاء ذريته. وقد يجوز ابقاء العاقر اذا كانت صالحة طيبة القلب فاضلة الاخلاق خالية من نقائص الحسد والغيرة والحقد ويمكن في مثل تلك الحال تبني ولد من أقاربها او أقارب زوجها ولا يجوز للزوج ان يطلق زوجته العاقر اذا كان له ولد من احدى سراريه (ثالثاً) المرأة الفاجرة تكون طالقاً (رابعاً) البرص والجذام وغيرهما من الادواء المعدية الشديدة الوطأة اذا أصيبت المرأة بواحد منها وجب تطليقها (خامساً) اذا كانت المرأة شديدة الغيرة فهذا يستدعي طلاقها لان الغيرة دليل على غيرها من النقائص (سادساً) المرأة الثرثارة التي تلحف في الطلب وتقلق راحة الزوج وتغرس بذور الشقاق بين افراد الاسرة وتجلب عليها الشر يجوز لزوجها ان يطلقها (سابعاً) اذا كانت المرأة مولعة بالسرقة يجوز لزوجها تطليقها . وقد قال الحكماء ان المرأة اذا طلقت لسبب من تلك الاسباب السبعة ثم تزوجت من رجل غني رفيع القدر فان ذلك الزواج الجديد يمحو عارها مادامت على قيد الحياة ولو بعد أمد مديد .

— ٤ —

واجبات المرأة

ليس للمرأة سيد سوى زوجها فينبغي لها ان تحترمه وتحبه وان لاتحتقر شأنه .

من واجبات الفتاة نحو والديها مادامت في بيتها ان تظهر لهما كل حب وتبجيل ليكونا عنها راضيين لان رضاهما دليل على رضى الآلهة حتى اذا تزوجت فليكن واجبها حب حميها وحماتها وتبجيلهما اكثر مما كانت تحب والديها وتبجلهما

ومن دلائل الحب الطاعة

شأنه . ان واجبات المرأة محصورة في الطاعة . فاذا حادثت زوجها فلا بد ان تكون علامات اللطف والدعة بادية على وجهها وان يكون حديثها لطيفاً منظماً بعيداً عن اسباب الشقاق لاشديداً غليظاً لان الشدة في القول تدل على ميل صاحبها للشر وعلى غطرسته وكبريائه . ان الطاعة رأس الواجبات فاذا ارتابت الزوجة في أمر فعليها باستشارة بعلها . واذا غضب الزوج مرة فالواجب على زوجته ان تظهر له ضعفها وان تبدي اعذارها وان تلين عريكتها على قدر استطاعتها لا ان تجعل العناد دينها والمكابرة عادتها فيحمي وطيس الجدال ويشتد الشقاق بينهما وبالجملة فعلى المرأة ان تعتبر زوجها الها فلا تمل من مطالبه ولا تكل من طاعته ولا تألو جهداً في أرضائه . لان في رضى الزوج نجاة من عقاب السماء .

* * *

يجب على الزوجة ان تحب اخوة زوجها واخوانه وانجالهم قاطبة لانها او هزأت باحدهم أو أظهرت نحوه بغضا استلزم ذلك سخط حميها وحماتها ونفر عنها قلوب اسرة زوجها اما اذا احبت الجميع واحترمتهم أحبوها واحترموها وكان في ذلك سعادة الاسرة باسرها وكذلك يجب عليها ان تحب زوجة أخي زوجها (سلفتها) وان تعاملها معاملة الشقيقة .

أفضل صفات المرأة العاقلة ان لا تخطر الغيرة على بالها فاذا كان زوجها خليعا فاجراً فالاولى بها ان تنصحه بلطف وتنهاه عن خلقه وهذا انفع من الحقد عليه لان الحقد يسبب الغيرة والغيرة تشوه الوجه وتفسد الاخلاق وتنفر الناس ممن يوصمون بها وتنتهي بنفور الزوج من الزوجة . واو اساء

الزوج معاملة زوجته بلا سبب ينبغي لها ان تظهر الهدوء والسكينة وان تلومه على ذلك بلطف فاذا كان في ساعة من ساعات غضبه فلتتركه حتى يعاوده السرور والرضى فتنصحه فني مثل هذه الحال يجدي النصح لا محالة واياك ايتها الزوجة العاقلة ان تصعري خدك أو تعنفي زوجك أو تحادثيه بصوت خشن يزعجه .

*
* *

يليق بالمرأة ان تكون شديدة الحذر في كلامها وان تقتصد في الحديث على قدر طاقتها وان لا تغتاب أحدا وان لا تنطق بغير الصدق واذا سمعت انسانا يأكل لحم غيره فلا تنم بما سمعت بل تسر الغيبة في نفسها لانه جاء في الامثال من بلغك مسبتك فهو شاتمك . ولم يشتت شمل الاسرات ويفرق بين الزوج وزوجته والولد ووالده والصاحب وصاحبه شيء كالغيبة والنميمة .

*
* *

يجب على المرأة ان تكون على الدوام متيقظة متنبهة وان تراقب اخلاق نفسها مراقبة شديدة وان تنهض في الصباح مبكرة وان لا تنام الا بعد ان ينام أولادها وزوجها وخير لها من القيل والقال ان تقوم باعمال المنزل وان لا تضجر من تدبير دارها

ولا ينبغي لها ان تكثر من شرب الخمر أو الشاي وان لا تملأ عينيها وأذنيها بمنظر الملاهي واغاني العشق والغرام . واذا قصدت المعابد والهياكل حيث يجتمع الناس من كل فج فليكن ذلك نادراً حتى تبلغ الاربعين فيجوز لها بعد بلوغ هذا السن ان تكثر من الذهاب الى الهياكل للتعبد . لا ينبغي للمرأة ان تطيع هوى الراهبات لقربها من الآلهة لاي سبب من الاسباب

ولا يجوز لها ان تقضي وقتها في الصلاة فانها او قامت بواجباتها التي يطلبها منها زوجها واولادها واقاربها وتركت الصلاة جانبا لكان ذلك كافيا لرضى الالهة عنها واذا كان زوج المرأة فقيرا أو غنياً فلا يليق بها ان تبذر ماله بل ينبغي لها ان تعتدل في النفقة وان تقتصد على قدر الامكان واذا كان الزوج خفيف الحال فلا بد من عدم الخروج عن الحد في المآكل والملابس حباً في تقليد الاغنياء والمترفين

ينبغي للمرأة في شبابها ان تبتعد عن توثيق عرى المودة بينها وبين أقارب زوجها وأصحابه وحاشيته وان تتبع القواعد التي تأمر بها الآداب الاجتماعية كعدم الاختلاط بالرجال الا اذا اقتضت الحال ولا يجوز للمرأة في شبابها ان تراسل رجلا غير زوجها مهما كانت الاسباب التي تستدعى المراسلة .

واذا اخترت ايتها الزوجة ثياباً وحليا فلتكن مما لا يلفت اليك الانظار ويبهر من يراك لان غاية اللباس والزينة أن يكون بدنك وثوبك نظيفين وما عدا ذلك يدعو الى ذمك ونفور زوجك واحتقار الناس اتأنك . لا تفكري في أهلك قبل ان تفكري في عشيرة زوجك لان ذلك يدل على أثرتك فاذا حل يوم رأس السنة أو غيره من الاعياد والمواسم فقومي بواجب الاكرام والمعايدة نحو أهل زوجك أولا ثم أدّي ذلك الواجب نحو أهلك ثانياً ولا تذهبي الا حيث يريد زوجك ولا تقصدي مكانا الا بارادته ورضاه ولا تأخذي على عهدك اشياء تخشين مسؤوليته فلا تقدمي لاحد هدية لا يريد زوجك تقديمها ولا تجودي بما انت وبيتك في حاجة اليه

لما كانت المرأة تخلف نسلا ينتسب الى حميها وحماتها فواجب اكرامها

وحبها اعظم في الواقع عقلا وشرعا من واجب اكرامها لوالديها . يجب على المرأة بعد الزواج ان تقلل من زيارة ابيها وأمها وان لا تشغل نفسها بزيارة الناس بل يكفي ان تبعث الى اصحابها وصواحبها واترابها من يسأل عن حالهم . واذا كانت دار ابيها افخم من دار زوجها فلا يليق بآدابها ان تجعل الافتخار بذلك شغلها الشاغل وحديثها ليل نهار لان هذا يدل على غرورها والغرور مطية الدمار .

٥

معاملة الخدم

مهما كان عدد خدم الزوجة فلا بد لها من الوقوف على كل ما يحدث في دارها ومراقبة سائر شؤونه ويجب عليها ان تخيط ثياب حميها وحماتها وان تعد لهم طعامهم وان تكون كلها آذاناً تصغى الى مطالبهم وان تنجز ما يريدان انجازه وان تنظر في شأن زوجها فتغسل ثيابه وتنظم فراشه وان تعني كل العناية باولادها فلا تهمل امرهم وتسعى جهدها في ان يكونوا في غاية النظافة وكل هذا لا يسهل عليها الا اذا لازمت بيتها ولم تخرج منه الا نادراً عندما تقضي عليها الضرورة بذلك ويجب على الزوجة العاقلة ان تحترس في معاملة الخدم فان الخادمات يكن دائماً من الطبقات النازلة ممن لم يتعلمن ولم يتهذبن في صباهن ومن صفاتهن العناد والبلادة والغلظة في الكلام . ومن طباعهن افتراء الاكاذيب واختلاق القال والقيل على من لا يرضين او يخالف رغبتهن في أمر من الامور فاذا اصغت الزوجة لهن تعست عيشتها وسببت سخط زوجها وغضب اسرته كافة فاذا استسلمت المرأة نفسها لتكون العوبة في أيدي هؤلاء الفتيات فليكن قلبها من صخر لا تحس ولا تشعر والا فيا

عرضت نفسها للبلاء والعناء ولتعلم الزوجة ان من كان غريبا عنها منذ نعومة أظفارها كحميها وحماتها لا يبقى على حبها اذا قصرت فى واجباتها أو سارت على غير الدرب الذي كانت تسير عليه من الطاعة واللطف ومن العار على المرأة العاقلة ان تسبب مثل ذلك الشقاق بينها وبين أهل زوجها استناداً على اختلاق خادمة حقيرة واذا رأت الزوجة ان في البيت خادمة كثيرة الكلام قليلة الحياء فلا بد من صرفها باسرع ما يمكن لان ابقاء خادمة هذه صفاتها قد يؤدي الي انفصام عروة المودة بين الزوجة وزوجها وبين الرجل واهله ولو فرضنا ان الزوجة سلمت من حبائل هؤلاء البنات فانها اذا تدفقت معهن فى الحديث ورفعت الكلفة من بينها وبينهن رأت في سلوكهن واقوالهن مالا ترضاه وهي كذلك اذا بقيت طول يومها تعنفهن وتسبهن وتلومهن جعلت بيتها عرضة للاضطراب والارتباك فخير وسيلة لمعاملة الخدم والانتفاع بهم مع اتقاء شرهم ان تظهر ربة المنزل للخادم أو الخادمة خطأها اذا لحظت عليها ذلك وترشدها الى طريق الصواب فاذا عادت الخادم الى الخطأ وجب على السيدة توبيخها بلطف اما اذا لحظت السيدة خطأ لا يستحق الذكر فالواجب فى مثل هذه الحال اغفاله وغض الطرف عنه . ويجب على المرأة العاقلة ان تكون شفوقة القلب على خدمها لضعفهم وفقرهم وأن تظهر امامهم بمظهر الحاكم الشديد الذى لا يرحم اذا رأى اعوجاجاً ولا يظلم اذا رأى استقامة ولا مانع من تعضيد الخادم بالمال فى وقت الحاجة ولكن لا بد أن يكون ممن يستحقون المساعدة والاحسان

٦
عيوب المرأة

عيوب المرأة خمسة العصيان والشره والغيبة والغيرة والرعونة ولاريب في ان هذه الصفات أو بعضها لاصقة بأغلب النساء وهذه النقائص هي التي سببت نقص الاناث عن الرجال وجعلت الرجال قوامين على النساء فمن تربت تربية حسنة ورأت في نفسها كل تلك العيوب أو بعضها فعليها ان تسعى جهدها في علاج نفسها بان تحاسبه على ماتقترف من الذنوب

ولا ريب في ان رأس تلك المعايب النقيصة الخامسة وهي الرعونة لانها اذا كانت متمكنة من امرأة حجبت عنها النور والضياء وأعمتها من واجباتها فتصبح ولا فرق عندها بين مايستحق الشكر وما يستدعى اللوم والتأنيب وقد تنال الرعونة من بعض النساء أكثر من ذلك فيصبحن عاجزات غافلات عما يجلبنه بأعمالهن لازواجهن من الهموم والمصائب . ومن نكد الرعونة على المرأة انها اذا سبت الابرياء وحقدت على الاصدقاء واثنت على شخصها واغتابت غيرها لاتدري انها عدوة نفسها وانها وحدها جديرة باللوم والتعنيف وقد تسبب هذه الرعونة تساهل المرأة في تربية أولادها فيشبون على عيوب تضرهم في حياتهم فاذا كبروا ونموا وعاشروا الناس وخالطوهم وامتزجوا بهم فطنوا الى ان أمهاتهم هن اللواتي جنين عليهم وسببن بؤسهم وشقاءهم .

* * *

قرأنا في أساطير الاولين ان عادات الاقدمين ترك المولود اذا كان أنثى ثلاثة أيام على الارض رمزاً الى انها أقل من الرجل وانها جديرة بان

تكون خادمة وان يكون سيدها .

فيجب على المرأة ان تجتنب الكبرياء ما أمكن ولو كان في صفاتها مايستلزم الاعجاب واذا اقترفت ذنبا فعليها ان تجتهد بما في وسعها في التكفير عنه وان تحترس من الوقوع فيه وتعريض نفسها للوم والمذمة فاذا قامت المرأة بكل تلك الواجبات فانها بلا ريب تعيش في دارها مع زوجها وأولادها عيشة راضية .

*
* *

أيها الآباء والامهات علموا هذه النصائح بناتكم منذ نعومة اظفارهن واقرأوها لهن وهن في المهد بدلا من الاغاني والاناشيد واذا شببن فكلفوهن بنقشها على صفحات القلوب فانكم اذا زودتم بناتكم بتلك الجواهر لدى أزواجهن كان ذلك اثمن وأفضل وأنفع من سائر الحلي والحلل التي تفتخرون بها لان الثياب والجواهر تفنى وتذهب ولكن تلك الجواهر الحقيقية تبقى على الدوام سبباً للراحة والسعادة المنزلية ولله « من قال ان الرجل ينفق ألف ألف من الذهب في تجهيز ابنته للزواج ولا يدرى كيف يصرف مائة ألف في تعليمها وتهذيبها » فليفقه الاباء والامهات معنى تلك الكلمات .

(انتهى الكتاب)

١٣٢٦٥

DATE	NO.	DATE	NO.